الفصل التاسع

النهروان في العهد العباسي الزاهر

(القسم الاول)

١ - تمهيد

شرحنا فيما تقدم تفاصيل بعض المشاريع التي انشأها العرب في منطقة سامراء على النهروان الاعلى ، وهناك ما يدلنا على انهم استغلوا منطقة النهروان كلها ، وهي المنطقة التي تمتد من الصدر قرب سامراء حتى الذنائب قرب الكوت ، وقد بلغ هذا الاستثمار ذروته في العهد العباسي الزاهر . ففي هذا العهد كان « القاطول الاعلى الكسروي » عامراً تجري فيه المياه بصورة دائمة فيسقي الاراضي الزراعية المرتفعة التي تقع بينه وبين مجرى دجلة القديم[1] ، كما كان « القاطول الاسفل » (نهر القائم) بصدريه الشتوي والصيفي - صدر القائم وصدر الصنم - عامراً أيضاً تجري فيه المياه طوال السنة فيروي كل المنطقة التي تمتد من جنوبي ملتقى القاطول الاعلى بالقاطول الاسفل حتى ذنائب النهروان قرب مدينة الكوت الحالية[2] . وكان في الوقت نفسه « سد العظيم » في جبل حمرين يؤمن تحويل مياه نهر العظيم الى الانهر الفرعية القائمة على الجانبين والى بحيرة الشارع[3] ، بما كان « سد ديالى » يحول مياه نهر ديالى الى الجداول الفرعية والى منخفضات الزور[4] .

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بـ « القاطول الاعلى الكسروي » في ص ١٥١ و ٢٠٤ والبحث الخاص بـ « مجرى دجلة القديم » في صفحة ١٧٧ .

(٢) حول « نهر القائم » راجع البحث المتقدم في صفحة ١٤٧

(٣) راجع البحث المتقدم الخاص بـ « سد العظيم » في صفحة ١٦٢

(٤) راجع البحث المتقدم الخاص بـ « سد ديالى » في صفحة ١٥٩

وعلى هذا كانت كل المنطقة الزراعية التي تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة بين جبل حمرين ونهر دجلة والتي تمتد من سامراء حتى الكوت مزدهرة ببساتينها ومزارعها وقراها ومدنها فتستمد مياهها من أنهر النهروان وديالى والعظيم. وكانت هذه المنطقة مقسمة الى ثلاثة كور[1]، الكورة الاولى تشتمل على المنطقة التي تقع بين النهروان وضفة دجلة الشرقية والتي تمتد من سامراء حتى المدائن تضاف اليها أراضي العظيم الواقعة على الجانب الشرقي من النهروان وتسمى «استان شاذهرمز» (يلاحظ من ذلك أن العرب احتفظوا بالاسماء الفارسية القديمة) ، وهذه تقسم الى سبعة طساسيج ، ثم الكورة الثانية التي تشتمل على المنطقة الواقعة على جانبي نهر ديالى شمالي مجرى النهروان ومن ضمنها أراضي مندلي الحالية وتسمى « استان شاذ قباذ » ، وهذه تقسم الى ثمانية طساسيج[2] . اما الكورة الثالثة فتشتمل على منطقة النهروان بين المدائن والكوت ومن ضمنها أراضي بدرة وزرباطية الحالية ، وقد سماها ابن خرداذبة « استان بازيجان خسرو » على حين ان قدامة اطلق عليها اسم « استان ارندبن كرد » مع ان الاثنين قد اتفقا في تدوين عدد طساسيج هذه الكورة وهي خمسة كما انهما اتفقا في نقل اسماء الطساسيج الخمسة هذه[3] .

---

(١) حول التقسيمات الزراعية التي كان يعمل بها في ذلك الزمن راجع البحث المتقدم الخاص بهذا الموضوع في الصفحة ١٦٤ (حاشية ١) من هذا الكتاب

(٢) هذا ما ذكره ابن خرداذبة وقد اختلف معه قدامة في تسمية هاتين الكورتين فسمى الأولى « استان شاذ قباذ » والثانية « استان خسره شاذ هرمز » مع ان الاثنين قد اتفقا في ذكر عدد الطساسيج واسمائها بالنسبة الى كل من الكورتين الاولى والثانية. والذي حملنا على اعتبار تسمية ابن خرداذبة هي الصحيحة تأييد ياقوت وابن عبد الحق بان الكورة الأولى تسمى « شاذ هرمز » (مادة شاذ هرمز) ، أما الكورة الثانية فقد أيد ياقوت تسميتها باسم « شاذ قباذ » الا انه ذكر في الوقت نفسه ان « شاذ قباذ » تعرف أيضاً بـ « الاستان العالي » ولها اربعة طساسيج في الجانب الغربي من دجلة وهي : الانبار وهيت وطسوج العانات وطسوج قطربل وطسوج مسكن (مادة شاذ قباذ) .

(٣) ذكر ابن رسته ان مجموع عدد الكور في سواد العراق كان يبلغ في ذلك الوقت اثنى عشرة كورة كما كان مجموع عدد الطساسيج ستين طسوجاً .

٢ - كورة شاذهرمز - طسوج «بزرجسابور»

ولنبحث أولاً في الكورة الاولى « استان شاذهرمز » فان أول طساسيجها السبعة من الشمال « طسوج بزرجسابور » الذي يشمل المنطقة الواقعة بين القاطول الاعلى الكسروي والضفة الشرقية من مجرى دجلة الذي كان يجري آنذاك بطريق « العلث » و « حربى » و « الحظيرة » و « باحمشا » و «عكبرا» و « أوانا » و « بصرى »[١] . وتقع ضمن هذه المنطقة « حديقة حيوانات المتوكل »[٢] و « بركة البحتري »[٣] و «منطقة القادسية»[٤] وبساتين بلد الحالية ثم الاراضي التي تمتد من بلد حتى الطارمية والراشدية ومن ضمنها مجرى دجلة الحالي في هذه المنطقة الذي كان يومئذ أرضاً زراعية ، كما تقع داخل هذه المنطقة الأراضي التي تسقى في الوقت الحاضر من ذنائب جدول الخالص بما فيها «دلتاوة» (الخالص الحالية) و «هبهب» و «السعدية» و «الجيزاني» و «المنصورية» و «قصيرين» و «الجديدة» و «دوخله» و «الحويش» وما يجاورها من أراضي زراعية[٥]. وكانت هنالك جداول فرعية تتشعب من الضفة اليمنى للقاطول الاعلى الكسروي فتعبر فوق القاطول الاسفل (نهر القائم) ثم تمتد الى المنطقة التي تقع فيها بساتين «بلد» الحالية

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بمجرى دجلة القديم في صفحة ١٧٧ وكذا البحث الخاص بالمدن الواقعة ضمن طسوج « بزرجسابور » في صفحة ١٨٢

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بالحديقة المذكورة في الفصل السادس (صفحة ٢٨٥)

(٣) راجع البحث المتقدم الخاص بالبركة المذكورة في الفصل السابع (صفحة ٣٠٦) .

(٤) حول منطقة القادسية المذكورة راجع ما تقدم في صفحة ٢٤١ .

(٥) جاء في معجم ياقوت ان (طسوج بزرجسابور) « من طساسيج بغداد وحده في اعلى بغداد العلث قرب حربى من شرقي دجلة » ، كما جاء في المعجم نفسه في مادة (عكبرى) ان «بزرج سابور معرب عن وزرك شاهور وهي المسماة بالسريانية عكبرا» ذلك مما يؤيد بان منطقة عكبرا كانت من ضمن طسوج بزرجسابور وقد ايد ابن عبد الحق ما ذكره ياقوت فقال ان بزرجسابور « من طساسيج بغداد حده من اعلى العلث من شرقي دجلة » .

وما يليها من الأراضي جنوباً ، كما كانت هناك عدة فروع تتفرع من « نهر القائم » جنوبي « القاطول الاعلى » فتسقي الأراضي الجنوبية التي تروى الآن من ذنائب جدول الخالص .

ولا تزال آثار الجداول القديمة التي كانت تتفرع من القاطول الاعلى الكسروي ومن نهر القائم والتي كانت تمتد الى الضفة الشرقية لمجرى دجلة القديم ماثلة للعيان ، وهي الآن على الجانب الغربي من مجرى دجلة بعد ان كانت في شرقيه . ومن أبرز هذه الجداول ما يعرف اليوم باسم «النهروانات» ، وهي الآثار الواقعة في جوار « تل جبارات » شمالي بساتين « بلد » الحالية (راجع اللوحتين ٣ و ٦) .

وكان «طسوج بزرجسابور» واسعاً فيمتد مسافة لا تقل عن سبعين كيلومتراً في الطول ومعدل عشرة كيلومترات في العرض وما يبلغ مساحته حوالي ربع المليون دونم (مشارة) من الأراضي ، وهو الذي قال فيه البحتري :

صنعة للزمان عندي وعكس إذ تولى بزرجسابور حبس

وكان هذا الطسّوج يقسم بدوره الى تسعة رساتيق، اما جبايته من الحبوب فقد بلغت مائتين وثلاثة وستين بيدراً تشتمل على ألفين وخمسمائة كر من الحنطة والفين وما ئتي كر من الشعير ، هذا عدا ثلثمائة الف درهم من الورق[1] .

٣ ـ كورة شاذ هرمز ـ طسوجا « الراذانين »

وكان الطسّوجان ، الثاني والثالث ، وهما « طسوجا الراذانين » اكبر طساسيج « كورة شاذ هرمز » حيث كانا يشملان المنطقة الواسعة على جانبي نهر العظيم شمالي النهروان والمعروفة اليوم بـ « الغرفة » و « العيث » ، فكان السد على مجرى العظيم في جبل حمرين يؤمن تحويل مياه نهر العظيم الى نهرين

(١) هذا ما ذكره ابن خرداذبة وقد ايد ذلك قدامة بن جعفر في قائمته الواردة في كتابه « الخراج » حول جباية السواد في سنة ٢٠٤ هـ .

رئيسيين ، النهر الشرقي يسقي أراضي «الغرفة» الواسعة الواقعة على الجانب الشرقي، والنهر الغربي يسقي أراضي « العيث » القائمة على الجانب الغربي ، وكانت فروع هذين النهرين تنتهي الى النهروان في الجنوب فتنصب فيه ، كما ان فرعاً من فروع النهر الغربي كان يحمل مياه العظيم الى «بحيرة الشارع» في موسم الفيضان . وهناك ما يدل على أن نهر الزاب الصغير كان يمون هذين النهرين بالمياه في موسم الصيهود، عن طريق وادي زغيتون الذي يصب في العظيم فوق السد[1] .

وكان هذان الطسوجان كما اسلفنا أوسع طساسيج الكورة الاولى حيث تبلغ مساحتها ما يقرب من مليون دونم (مشارة) ، فكان الطسوج الأعلى يسمى « الراذان الاعلى » والطسوج الأسفل « الراذان الاسفل » . ونميل الى الاعتقاد بأن « الراذان الاعلى » هو القسم الواقع غربي مجرى العظيم الحالي ، أي القسم الذي كان يروى من النهر القديم المعروف اليوم باسم « البت » ، كما أن «الراذان الاسفل» هو القسم الواقع شرقي مجرى العظيم ، أي القسم الذي كان يروى من النهر الذي يسميه الاهلون الآن « الروذان » . وقد ذكر ابن خرداذبة ان طسوجي الراذانين يقسمان الى ستة عشر رستاقاً تبلغ بيادرها ثلثمائة واثنين وستين بيدراً ، وهذه تشتمل على أربعة آلاف وثمان مائة كر من الحنطة وأربعة آلاف وثمان مائة كر من الشعير هذا عدا مائة الف وعشرين ألف درهم من الورق. وقد أيد ذلك قدامة بن جعفر في قائمته المثبتة في كتاب الخراج حول جباية السواد في سنة ٢٠٤ هـ .

٤ - رأي لي سترانج في « الراذانين »

ويلاحظ ان المستشرق لي سترانج قد اعتبر في كتابه « بلاد الخلافة الشرقية » ان منطقة « الراذانين » تقع في جوار « المدائن » ، وذلك في الشقة التي بين دجلة

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بمشروع « سد العظيم » القديم في صفحة ١٦٢

والنهروان جنوبي بغداد ، على حين ان هناك طسّوجين في منطقة « المدائن » يعرفان باسم طسوجي « جازر » و « المدينة العتيقة » وهما من طساسيج « كورة شاذ هرمز » أيضاً . ولا ندري كيف توصل لي سترانج الى هذا الرأي ، ولا سيما وان الادلة على وقوع «الراذانين » في منطقة العظيم واضحة لا تقبل الشك، فان النهر الذي كان يروي منطقة العظيم الشرقية لا يزال يسمى « نهر روذان » (تحريفاً لكلمة راذان الاصلية) ، كما ان المنطقة المقابلة الى الروذان من جهة الغرب لا تزال تعرف باسم «البت» ، وهي المنطقة التي أيد ابن عبد الحق وقوعها قرب الراذان . فقد جاء في المراصد ان « راذان الأعلى وراذان الأسفل كورتان بسواد بغداد تشتملان على قرى كثيرة » ، وان البت « قرية كالمدينة من اعمال بغداد قريبة من راذان على فم نهره »[1] . وكان قد أيد المقدسي قبل ابن عبد الحق بثلاثة قرون بان « البت » و « الراذانين » من مدن سامراء قال : « اما سامراء فمن مدنها السكرخ عكبرا الدور الجامعين بت راذانان قصر الجص جويث أوانا الخ ... » هذا وقد ذكر ابن خرداذبة ان « طسّوج راذان الاعلى وطسّوج راذان الاسفل عنوان الجانب الشرقي سقي دجلة وتامرهاء »، وهذا يدل على ان طسّوجي « الراذانين » يقعان في منطقة العظيم ، وهي المنطقة التي تتصل بدجلة وتامرهاء (ديالى) ، فلو كان هذان الطسوجان في المدائن كما ظن لي سترانج لذكر ابن خرداذبة انه من سقي النهروان . ثم جاء في معجم ياقوت

---

(١) كان ياقوت قد ذكر في معجمه ان البت « قرية كالمدينة من أعمال بغداد قريبة من راذان واليها ينسب أبو الحسن احمد بن علي الكاتب البتي أديب كيس له نوادر حسنة مات ٤٠٥ ». ويلاحظ ان عبد الحق اضاف الى ذلك قوله ان البت يقع بالقرب من راذان على فم نهره ، ذلك يدل على ان هناك نهراً كان يسمى نهر راذان وقد حرف فسمي نهر روذان . وجاء في المشترك لياقوت أيضاً ان هناك قرية اخرى باسم البت أيضاً تقع في « نواحي بوهرز قرب بعقوبا من نواحي بغداد ايضاً » ، وقد سمى ابن عبد الحق هذه القرية باسم (بتا) فقال انها « قرية تحت بعقوبا بينها وبين بوهرز » .

وفي المراصد ان المدينة المسماة « طفّر » هي من أعمال « راذان » وتقع بين باعقوبا ودقوقاء ، وهذا يؤيد وقوع « الراذان » في منطقة العظيم نفسها حيث تقع بين مدينة بعقوبا ومدينة طاووق الحاليتين . وفضلاً عن ذلك فان جباية طسوجي « الراذانين » هي أكثر من جباية أي طسّوج آخر من طساسيج « كورة شاذ هرمز » ، ومثل هذه الجباية لا يمكن ان تكون في الشقة الضيقة التي في « المدائن » والتي يقع فيها الطسّوجان « جازر » و « المدينة العتيقة » . هذا ولما نظم قدامة قائمته عن اعمال السواد في الجانب الشرقي من دجلة أوضح بصورة جلية انه بدأ بتعداد هذه الاعمال من أعلى دجلة وعلى هذا الاساس ذكر « طسّوج بزرجسابور » أولاً ثم ذكر بعده « طسوجي الراذانين » المجاورين لبزرجسابور في المنطقة الشمالية التي قرب سامراء . كل هذا يؤيد بأن طسوجي « الراذانين » يقعان في منطقة العظيم الحالية ، وهي المنطقة التي كانت تروى من أمام السد المعروف ببند العظيم والذي كان عامراً في ذلك الوقت . ويظهر ان الذي حدا بلي سترانج ان يعتبر بان « الراذانين » يقعان في جوار « المدائن » حيث يقع « طسوج جازر » ورود ذكر « الراذانين » مع « جازر » في بيت نقله ياقوت عن عبيد الله بن الحر وهو :

أقول لاصحابي باكناف جازر وراذانها هل تأملون رجوعاً

إلا ان ذلك لا يصح ان يستند اليه في تعيين موضع « الراذانين » .

٥ ـ كورة شاذ هرمز ـ طسوجا « نهر بوق » و « كلواذى ونهر بين »

وكان يلي طسوجي « الراذانين » الطسوجان الرابع والخامس المعروفان بطسّوج « نهر بوق » وطسّوج « كلواذى ونهر بين » ، وهذان الطسّوجان يقعان في جوار مدينة بغداد الشرقية وذلك في الشقة التي بين دجلة والنهروان . وكانت هناك شبكة من الانهر تتفرع من النهروان من شمال مدينة « جسر النهروان » فتروي أراضي هذين الطسّوجين ثم تنتهي الى دجلة عند مدينة

بغداد ذاتها أو في جوارها من الشمال والجنوب. وكان يتوسط هذين الطسّوجين نهر يعرف باسم « نهر بين » ينتهي الى دجلة جنوبي مدينة بغداد عنـــد قرية « كلواذى » ، فيفصل بينهما بحيث يصبح « طسّوج نهر بوق » شماله و « طسوج كلواذى و نهر بين » جنوبه (راجع الرسم رقم ١٨) . وقد جاء في معجم ياقوت أن « نهر بوق طسّوج من سواد بغداد قرب كلواذا زعموا ان جنوبي بغداد من كلواذا وشماليهـا من نهر بوق » . ويستدل مما كتبه المؤرخون العرب على أن المنطقة التي تقع فيها مدينة بغداد الشرقية كانت كلها تروى من النهروان وان ما كان يروى من دجلة ضئيل ومقتصر على الأرواء بالدواليب فقط ، واليك ما كتبه الاصطخري في هذا الصدد قال : « واما الاشجار والانهار التي في الجانب الشرقي ودار الخلافة فانها من ماء النهروان وتامرا ، وليس يرتفع اليهـا من ماء دجلة إلا شيء يسير يقصر عن العمارة وينضح بالدواليب » . وقد أيد ابن حوقل ذلك قوله : « ان الاشجار والانهار التي في الجانب الشرقي من مدينة السلام ودار الخلافة فانها من ماء النهروان وتامرا ، وليس يرفع اليها من دجلة إلا شيء يقصر عن العمارة » .

أ ـ مربعنا « جسر النهروان » و « كلواذى »

وكانت مدينة النهروان (مدينة جسر النهروان) التي تقع في الحدّ الشمالي لطسّوج « نهر بوق » من أهم المدن على النهروان ، إن لم تكن أهمها ، فقد كان لها ، عدا أهميتها الفنية من حيث تفرع عدة انهر مهمة من أمامها لتروي منطقة بغداد الشرقية ، أهمية ستراتيجية خاصة لوقوعها على طريق خراسان الرئيسي بين العراق وايران ، وقد سميت « مدينة جسر النهروان » لوقوع جسر رئيسي على النهروان فيها[1] . وقد تكرر ذكر « مدينة النهروان » هـــذه في كتب

(١) راجع البحث التالي الخاص بطريق خراسان العام في الفصل العاشر .

المؤرخين من العرب لمناسبة سرد الحوادث المهمة التي وقعت فيها في مختلف العهود التاريخية منها واقعة النهروان المشهورة التي اندحر فيها الخوارج (سنة ٣٨ هـ)[١].

وكانت « مدينة النهروان » واسعة تمتد على ضفتي النهروان فذكر ابن رسته ان هناك وادياً يخترق الجانب الغربي منها وهو الجانب الذي كانت فيه أسواق ومسجد جامع ونواعير تسقي أرض المدينة . وقد كان في الجانب الشرقي مسجد جامع أيضاً وأسواق وحول المسجد خانات ينزلها الحجاج والمارة . وقال المقدسي ان « النهروان مدينة ذات جانبين الشرقي أعمر ، رحبة عامرة بينهما الجسر ، الجامع في الجانب الشرقي والحاج ينزلون على هذا الشط » . ومما قاله ابن حوقل ان « النهروان مدينة يشقها نهر النهروان بنصفين في وسطها وهي صغيرة عامرة من بغداد على أربعة فراسخ كثيرة الغلات والخيرات والنخيل والكروم والسمسم خاصة ونهرها يفضي الى سواد بغداد أسفل من دار السلطان (يقصد بغداد) الى الاسكاف وغيرها من المدن والقرى » . وكانت مدينة النهروان خربة في زمن ابن عبد الحق فقال عنها إنها « قرية كبيرة ومدينة فيها سوق كبير وعالم كثير كانت تعرف بالنهروان خربت في زماننا وخلى أهلها عنها بها كانت تعمل المكابيل الحديد من قفزان الغلة ومكابيل البرز وغيرها التي كان يغالي بثمنها حتى أنه لم يبق بالعراق أحد يعملها » .

وتقع اطلال مدينة النهروان في الأراضي المعروفة اليوم باسم (صفوة)[٢] على

---

(١) ان مدينة النهروان هي المدينة التي احتمى بها الخوارج حين اتجهوا نحو الشمال اجتنابا لقتال عامل علي بن أبي طالب (ع) على المدائن ، وقد تبعهم خوارج البصرة بقيادة مسعود بن فدكي بعد ان تشتت بينهم وبين قوة من اصحاب علي (ع) موقعة صغيرة . وهناك اشتبك القتال بينهم وبين اصحاب علي (ع) حيث تمزق شملهم شر ممزق ، وقتل زعماؤهم ولم يبق منهم الا أفراد قلائل فروا الى مختلف الانحاء .

(٢) يقال ان سبب تسمية هـذه الاطلال باسم « صفوة » يرجع الى انه كان في الحد الخارجي للجانب الشرقي من المدينة قبة تضم قبر قاضي مدينة النهروان وكان اسمه =

الجانب الشرقي من مجرى ديالى الحالي شمال شرقي « إمام أبي عروج » وجنوبي محطة كاسلزبوست حيث تقع التلول المسماة « تلول صخيرية » . وهنا تشاهد آثار النهروان وهو يخترق اطلال « مدينة النهروان » في الكيلومتر (١٢٠½) من مجراه ، فيبلغ عرضه حوالي مائة متر وعشرة أمتار في هذا الموضع ، كما يشاهد الوادي الذي ذكر ابن رسته أنه يخترق الجانب الغربي من المدينة ماثلاً للعيان لا تزال آثاره موجودة على الضفة اليمنى من النهروان وهو يخترق اطلال الجانب الغربي المدينـــة ثم ينتهي الى مجرى ديالى الحالي . ويقع على الجانب الغربي لهذا الوادي تل واسع مرتفع بنيت عليه قلعة تسمى « قلعة سيد علي » وهي قلعة صاحب الأراضي المجاورة المرواة بالضخ من نهر ديالى (راجع اللوحة رقم٤ والرسم رقم ٢١) .

وتؤيد لنا بقايا المدينة ما ذكره المقدسي من ان العمران على الجانب الشرقي كان أوسع منه على الجانب الغربي بدليل ان مساحة اطلال الجانب الشرقي تبلغ اربعمائة الف متر مربع على حين أن القسم الغربي لا يتجاوز مئة الف متر مربع . ويلاحظ ان مجرى ديالى الحالي قد اكتسح قسماً من أطلال المدينة التي على الجانب الغربي (راجع الرسم رقم ٢١) .

هذا فيما يختص بـ « مدينة النهروان » التي كانت في الحدّ الشمالي لطسوج « نهر بوق » ، أما مدينة « كلواذى » التي كان ينتهي « نهر بين » عندها في الحد الجنوبي لطسّوج « كلواذى ونهر بين » فـكانت تقع على الجانب الشرقي لنهر دجلة جنوب مدينة بغداد ، فذكر أبو الفداء انها تقع على بعد فرسخين

= صفاء الدين . الا انه لم يبق الآن أثر لهذا القبر مع ان أهل هذه المنطقة لا يزالون يشيرون الى موضعه ، وقد أيد وجود هذا القبر بين انقاض مدينة النهروان المستر فيليكس جونس الذي زار هذه المنطقة قبل حوالي مائة سنة ، ومما ذكره في هـــذا الصدد قوله ان انقاض المدينة واسعة جداً على الرغم من ان (الـكراوين) ، أي القوافل ، كانت تنقل باستمرار مواد البناء الى مدينة بغداد .

من جنوبي بغداد وانها تبعد اربعة فراسخ عن مدينة النهروان . وقد أيد قدامة وقوعها على بعد فرسخين من جنوبي بغداد وأضاف الى ذلك انها تقع على بعد خمسة فراسخ شمالي «المدائن» . أما ياقوت فقد ذكر ان بينها وبين بغداد فرسخ واحد للمنحدر ، وقد وصف ابن رسته « كلواذى » قال انها مدينة بها مسجد جامع ومنبر وأسواق وأضاف الى ذلك قوله انها تقع على مسافة ٣ فراسخ من بغداد والطريق الذي يمتد بينها وبين بغداد ينحدر مع دجلة . ويعتقد ان موضع هذه المدينة هو المكان الذي تقع فيه منطقة « كرارة » الحالية ، اي قرب معمل مسيح وكازينو المسبح الحاليتين .

ب ـ أنهر مدينة بغداد الشرقية

وكان هناك فرعان رئيسيان من فروع النهروان اليمنى يغذيان شبكة الانهر التي كانت تتغلغل في قلب مدينة بغداد الشرقية ضمن حدود الطسوجين ، « نهر بوق » و « كلواذى ونهر بين » ، أولهما من الشمال يعرف باسم « نهر الخالص »، والآخر من الجنوب يسمى « نهر بين »[1] . وكان « نهر الخالص » يتفرع من الجانب الايمن للنهروان في نقطة تقع في جوار قرية « باجسرى »[2] ، فيسير في

---

(١) كان قد سمى ياقوت « نهر بين » « نهر بيل » وقال عنه انه طسوج من سواد بغداد متصل بنهر بوق .

(٢) كانت قرية « باجسرى » المذكورة تقع على الجانب الأيسر للنهروان في جنوبي بعقوبا بقليل ، ويستدل مما كتبه المؤرخون العرب على انها كانت قرب « قرية بهرز » الحالية ، فذكر ابن عبد الحق انها « بليدة في شرقي بغداد بينها وبين حلوان عامرة نزهة كثيرة الأهل وهي الآن خراب . » واضاف ياقوت الى ذلك قوله انها تقع على عشرة فراسخ من بغداد (أي حوالي خمسين كيلو متراً) وهذه المسافة تتفق مع المسافة الحالية بين « قرية بهرز » ومدينة بغداد . اما ابن سرابيون فقد ذكر انها تقع على ضفة النهروان بين بعقوبا ومدينة النهروان ، مع العلم انه يوجد موضع يسمى اليوم « أباجسرى » يقع شمالي مدينة بعقوبا الحالية بين بعقوبا والمقدادية (شهربان) .

والأرجح أن «قرية بهرز» و «مدينة بعقوبا» الحاليتين لا تزالان في موضعيهما =

الاتجاه الجنوبي بين النهروان ودجلة ثم ينصب في دجلة شمالي مدينة بغداد الشرقية فوق قرية « البردان »[1] بقليل ، وعلى هذا يمكن تعيين اتجاهه في نفس الاتجاه الذي يسير فيه « نهر الجاث » القديم و « نهر المشيرية » الحالي الواقع في ذنائب جدول الخالص الحديث (راجع اللوحة رقم ٣) . أما « نهر بين » فكان يتفرع من فوق « مدينة النهروان » بقليل وبعد أن تتفرع منه عدة فروع تسقي القرى والضياع الواقعة عليها يصب ماءه في دجلة عند «كلواذى» الواقعة على الضفة الشرقية لنهر دجلة جنوبي مدينة بغداد بقليل[2]. وهكذا كانت جميع انهار بغداد الشرقية تتفرع من هذين الفرعين الرئيسيين

= الاصليين شرقي النهروان مقابل الكيلومتر (٨٢) والكيلومتر (٨٨) منه على التوالي (راجع اللوحة رقم ٣) ، فقد ورد ذكر « بوهرز » في كتاب « المشترك » لياقوت (راجع مادة «البت»)، كما ورد ذكر «بعقوبا» في معجم ياقوت فقال في مادة «بعقوبا»: «ويقال لها باعقوبا أيضاً قرية كبيرة كالمدينة بينها وبين بغداد عشرة فراسخ من اعمال طريق خراسان وهي كثيرة الأنهار والبساتين واسعة الفواكه متكاثفة النخل وبها رطب وليمون يضرب بحسنها وجودتها المثل وهي راكبة على نهر ديالى من جانبه الشرقي ونهر جلولاء يجري في وسطها (هو جدول خراسان الذي لا يزال الى الآن يخترق مدينة بعقوبا) وعلى جنبي النهر سوقان وعليه قنطرة وعلى ظهر القنطرة يتصل بين السوقين والسفن تجري تحت القنطرة الى باجسرا وغيرها من القرى وبها عدة حمامات ومساجد ، وينسب اليها جماعة من أهل العلم منهم أبو الحسن محمد بن الحسين بن حمدون البعقوبي قاضيها .... وبعقوبا هذه هي التي ذكرها سعد بن محمد الصيفي وهو الخبيص بيص في رسائله السيم يسأل المسترشد أن يهبها منه وعوض عنها بمال فلم يقبله. وقرأت بخط أبي محمد ابن الخشاب النحوي أنشدني أبو المظفر ابن قرما الاسكافي قال أنشدني المهدي البصري نفسه يهجو أهل بعقوبا .

تخاف ببعقوبا اذا جيئت معشراً ... لهم بيت الضيف وهو خبيص »

وقريب من ذلك ما كتبه ابن عبد الحق في مادة « بعقوبا » قال : « مدينة هي قصبة طريق خراسان بينها وبين بغداد عشرة فراسخ كثيرة البساتين يشقها نهر جلولاء عليه في وسطها قنطرة تتصل بسوقين في جانبها وبها حمامات ومساجد » .

(١) راجع البحث الذي تقدم عن مدينة البردان في صفحة ١٨٨ .

(٢) راجع البحث الذي تقدم عن مدينتي « النهروان » و« كلواذى » في هذا الفصل .

« نهر الخالص » و « نهر بين » فتؤلف شبكة من الجداول فيها [٢] .

١ ـ نهر الخالص وفروعه

وقد وصف ابن سرابيون « نهر الخالص » فقال انه نهر كبير تجري فيه السفن فيمرّ بين ضياع وقرى وبعد أن تتفرع منه أنهار كثيرة يصب في دجلة أسفل الراشدية[٢] بفرسخين (حوالي عشرة كيلومترات) شرقي دجلة . وان أهم الفروع التي كانت تتشعب منه هو الفرع المسمى « نهر الفضل » ، وهذا يتفرع من ضفته اليسرى فيسير جنوباً حتى يصل الى دجلة فيصب فيها عند باب الشماسية في القسم الأعلى من بغداد الشرقية .

وكان يتفرع من الضفة اليسرى لنهر الفضل عند باب الشماسية فرع يسمّى « نهر المهدي » فيدخل هذا الفرع المدينة في الشارع المعروف باسم « شارع المهدي » متجهاً

---

(١) كان الجانب الشرقي لمدينة بغداد في الأصل خالية من ضواحي مدينة المنصور الغربية وقد سميت في بادىء الأمر بأسم « عسكر المهدي » حيث جعل المهدي هذا القسم معسكراً لجنوده بعد عودته من حملته على خراسان ثم أقام بعد ذلك قصراً وحاماً في هذا القسم بالقرب من المعسكر وسماه الرصافة . وقد حفر نهراً يأخذ الماء من نهر الخالص فسمي باسمه « نهر المهدي » لأرواء قصر الرصافة وحدائقه . وقد توسع هذا القسم مدة خلافة المهدي حيث وزعت الأراضي على رجال حاشيته فبنوا قصورهم فيها ثم جاء الخلفاء الذين اعتلوا عرش الخلافة بعده فأقاموا قصوراً أخرى لهم ولم يمض وقت طويل حتى أصبح معسكر المهدي هذا مركز الخلافة ومقر الحكومة الرسمي الأمر الذي ادى الى اهمال مدينة المنصور على الجهة الغربية بالتدريج حتى أخذت تضمحل شيئاً فشيئاً . وقد تكونت بعد توسع مدينة الرصافة شبكة من الأنهر كانت تتفرع من النهروان فتروي الأراضي المجاورة لمدينة ثم تنتهي الى وسط المدينة نفسها .

(٢) ليس شك في أن الراشدية كانت في نفس موضع الراشدية الحالي الواقع على مسافة حوالي عشرة كيلومترات شمالي « تل بدران » (موضع مدينة البردان) وتتفق هذه المسافة مع تلك التي ذكرها ابن سرابيون بين الراشدية ومصب نهر الخالص الذي أيد ابن سرابيون وقوعه قرب البردان جنوباً وهي فرسخان ، أي حوالي عشرة كيلو مترات .

نحو الجنوب الشرقي ، وبعد ان يمر بقنطرة البردان ودار الرومين وسويقة نصر بن مالك يدخل الرصافة ويمر في المسجد الجامع الى بستان حفص ويصب في بركة في جوف قصر الرصافة . وقد اشار اليعقوبي الى نهر المهدي هذا قال : « فاختط المهدي قصره بالرصافة الى جانب المسجد الجامع الذي في الرصافة » وحفر نهراً يأخذ من النهروان سماه نهر المهدي يجري في الجانب الشرقي » .

وكان يتفرع من « نهر الفضل » أيضاً نهر يقال له « نهر الجعفري » أو « نهر الجعفرية » ، وهذا يتفرع من الضفة اليسرى لنهر الفضل أيضاً من نقطة تقع شمالي مأخذ نهر المهدي ، وبعد أن يمر بقرى وضياع ينتهي الى الأراضي التي في شمالي مدينة بغداد . وكان يحمل من الضفة اليمنى لنهر الجعفرية نهر يسمى « نهر السور » فيسير غرباً مع سور بغداد وبعد أن يمر بباب خراسان وباب البردان يصب في نهر الفضل الذي يصب بباب الشماسية .

وكان يحمل من الضفة اليسرى لنهر المهدي فرع أوله في سويقة نصر يمر في وسط شارع باب خراسان الى أن يصب في نهر السور بباب خراسان (راجع الرسم رقم ١٨) .

٢ ـ « نهر بين » وفروعه

أما « نهر بين » فان أهم فروعه هو الفرع المعروف باسم « نهر موسى » ، وكان هذا الفرع يتشعب من الضفة اليمنى لـ « نهر بين » في نقطة تقع شرقي قصر المعتضد المعروف بـ « الثريا » فيسير غرباً حتى يصل الى « قصر الثريا » فيدخله ويدور فيه ويخرج منه ويصير الى موضع يقال له « مقسم الماء » فينقسم هناك الى ثلاثة انهار ، أولها ، الفرع الشمالي الغربي ، وهو أطولها ، يبقى محتفظاً باسم « نهر موسى » فتتشعب فروعه الكثيرة في « محلة المخرّم » فيخترقها مع فروعه . وبعد أن يدور حول هذه المنطقة يدخل « بستان الزاهر » ويصب في دجلة أسفل

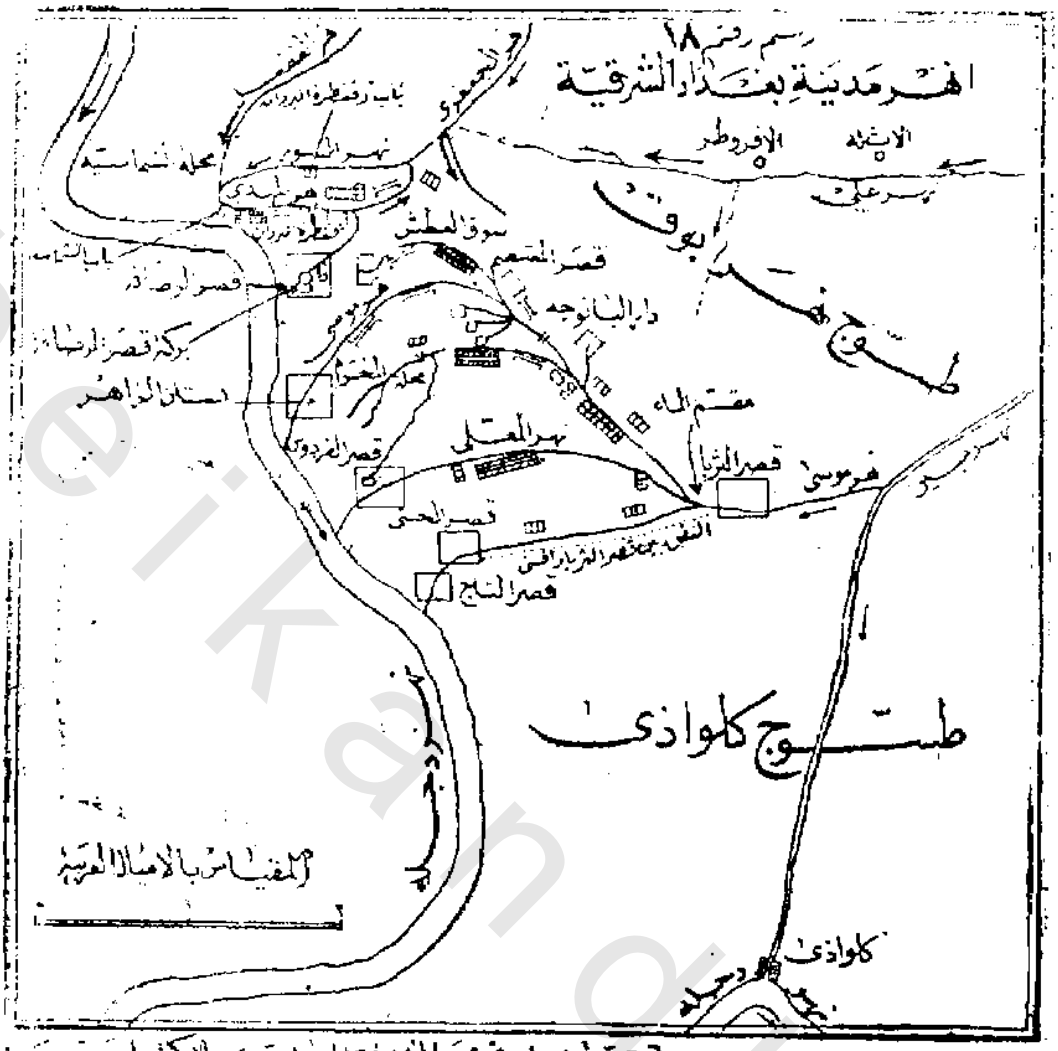

[ريخ سامراء في عهد الخلافة العباسية ـ للدكتور احمد سوسة]

البستان المذكور بقليل . ويمر « نهر موسى » هذا بـ «سوق الدواب» وبـ « دار البانوجة » وبـ « قصر المعتصم »[1] ، كما انه يغذي الاحواض الثلاثة التي في هذه المنطقة ، وهي « الانصار » و « هيلانة » و «داود» . ويسمى الفرع الثاني الذي يتفرع من «المقسم» وهو الفرع الاوسط باسم « نهر المعلى »، وهذا يسير غرباً الى داخل المدينة ثم يدخل قصر المعتضد المعروف بـ « الفردوس » ويدور

(١) كان يقع هذا القصر في القسم الشمالي من محلة المخرم على ضفة « نهر موسى » جنوبي « باب خراسان » وقد أقام المعتصم في هذا القصر من سنة ٢١٨ الى سنة ٢٢١ هـ ، أي قبل انتقاله من بغداد الى سامراء ، والظاهر انه تهدم بعد هذا التاريخ بمدة قصيرة بدليل انه لم يرد له ذكر عند أي مؤرخ جاء بعد ابن سرابيون .

حوله حتى يصب في دجلة مع القصر. ويمر النهر الثالث من «المقسم» الى باب العامة فيسير جنوباً ثم يدخل الى القصر المعروف بـ « الحسنى » فيدور فيه وينتهي الى دجلة تحت قصر المكتفي بالله المعروف بـ « قصر التاج »[1].

وكان يتفرع من « نهر بين » عدا « نهر موسى » فرع آخر يسمى « نهر علي » ، وهذا يتفرع من الضفة اليمنى لـ « نهر بين » في نقطة تقع فوق مأخذ « نهر موسى » بقليل فيمر بقرية الاثلة وبعد أن يسقي « طسّوج نهر بوق » و « رستاق الاقروطر » يصب في أحد فروع الخالص ، والارجح انه يصب في فرع الجعفري الذي سبق ذكره .

ويتضح مما تقدم ان منطقة مدينة بغداد الشرقية كانت تروى من النهرين الرئيسيين ـ « نهر الخالص » و « نهر بين » ـ المتفرعين من الضفة اليمنى لنهر النهروان الكبير . فالمواضع الشمالية كانت تسقى من فروع « نهر المهدي » و « الجعفري » و « السور » المتشعبة من « نهر الفضل » الذي هو أحد فروع « نهر الخالص » ، أما المواضع الجنوبية فكانت تسقى من فروع « نهرموسى » الذي هو أحد فروع « نهر بين »، وهي الفروع الثلاثة المتشعبة من « مقسم الماء ».

٣ ـ قصور الخلفاء في مدينة بغداد الشرقية

يرجع تاريخ تأسيس مدينة بغداد الشرقية الى عهد المنصور حين اتخذ ضفة دجلة الشرقية قبالة مدينته المدورة التي على الجانب الغربي من دجلة موضعاً يعسكر فيه الجيش ، وكان قد اعد لابنه قصراً هنا أيضاً بمناسبة انتصاره ورجوعه من خراسان على رأس الجيش ، وقد أقيم جامع بالقرب من القصر ثم انشئت البساتين حوالي القصر وحفر نهر خاص لاروائها وقد سميت هذه المحلة

(١) راجع البحث الذي يلي عن قصور الخلفاء في مدينة بغداد الشرقية .

بعد أن توسعت وانشئت فيها القطائع والدور باسم « الرصافة » وكانت تعرف باسم « عسكر المهدي » في أول الأمر . وامتد العمران في جهة « الرصافة » هذه حتى صار يعادل عمران مدينة المنصور التي على الجانب الغربي وقد ساواها في المساحة بعد ذلك . ويذكر اليعقوبي باسهاب القطائع المختلفة التي أقطعها المهدي لرجاله من النبلاء في الأراضي المحيطة بالرصافة وكانت هذه الأراضي في الشمال الشرقي وفي الجنوب وقد أصبحت أخيراً « محلة الشماسية » و « محلة المخرّم » .

أما العمارات المهمة التي انشئت في الجهة الشرقية لمدينة بغداد فيرجع معظمها الى العهد الأخير الذي يلي عهد عودة الخلفاء من سامراء ، ومن أهم القصور التي اشتهرت في هذا العهد « القصر الحسني » و « قصر الثريا » و « قصر الفردوس » و « قصر التاج » . وكان « القصر الحسني » قد انشيء في الأصل من قبل جعفر البرمكي جنوبي « الرصافة » وأصبح في الأخير موضع دار الخلافة بعد انتقال مقر الخلافة الى الجانب الشرقي من المدينة . وقد ذكر ياقوت أن القصر كان من أحب المواضع الى المأمون وأشهاها لديه فاقتطع جملة من البرية عملها ميداناً لركض الخيل واللعب بالصوالجة وحيراً لجميع الوحوش وفتح له باباً شرقياً الى جانب البرية وأجرى فيه نهراً ساقه من نهر المعلّى وبعد أن تولى المعتمد صار هذا القصر من أحب البقاع اليه وكان يتردد فيما بينه وبين سرّ من رأى فيقيم هنا تارة وهناك تارة أخرى حتى توفي فيه سنة ٢٧٩ هـ . وحمل الى سامراء فدفن فيها . ثم استولاه المعتضد بالله فاستضاف الى « القصر الحسني » ما جاوره فوسّعه وكبّره وأدار عليه سوراً واتخذ حوله منازل كثيرة ودوراً وأقطع من البرية قطعة فعملها ميداناً عوضاً من الميدان الذي ادخله في العمارة وابتنى على نحو ميلين منه في جهة الشرق الموضع الذي على « نهر موسى » والمعروف بـ « الثريا » ووصل بناء الثريا بالقصر الحسني وابتنى تحت القصر آزاجاً من القصر الى الثريا تمشي جواريه فيها وحرمه وسراريه وما زال باقياً الى الغرق الأول الذي صار ببغداد فمحى أثره وكان ذلك في سنة ٤٦٦ هـ (١٠٧٣ م .) حين انفجرت

المسناة التي تحت « نهر القورج » وغمرت المياه بغداد الشرقية جميعها[١] . وقد ذكر المسعودي المورخ المعاصر : ان المعتضد (انفق على قصره المعروف بالثريا أربع مائة الف دينار وكانت مساحة أرضه ثلاثة فراسخ وكان الازج الذي طوله ميلان المار ذكره معقوداً يمر تحت الدور والشوارع التي أقيمت فيما بعد خارج قصور الخلفاء .

وقد شيد المعتضد « الفردوس » في جوار « القصر الحسني » في موضع يقع فوقه حيث يصب نهر المعلّى في دجلة ، وكان في بساتين هذا القصر بحيرة يأتيها الماء من فرع صغير لـ (نهر موسى) عند (المقسم) قرب (باب المحوّل). وقد ذكر ابن حمدون النديم ان المعتضد غرم على عمارة البحيرة ستين الف دينار وكان يخلو فيها مع جواريه وفيهن محبوبته دريرة[٢] . وزيادة على قصري (الفردوس) و (الثريا) وضع المعتضد أساسات (قصر التاج)المشهور في موضع يقع على نهردجلة بالقرب من (القصر الحسني) وحين تم بناؤه ووسعه الخلفاء المتعاقبون أصبح أهم مركز رسمي للخلفاء .

ج - جباية طسوجي « نهر بوق » و« كلواذى ونهر بين »

ومما ذكره ابن خرداذبة أن جباية طسوج نهر بوق كانت تشتمل في أوائل القرن الثالث الهجري على مائتي كر من الحنطة والف كر من الشعير ومائة الف درهم على حين ان طسوج (كلواذى ونهر بين) كان يقسم الى ثلاثة رساتيق تبلغ بيادرها أربعة وثلاثين بيدراً تشتمل على ألف وستمائة كر من الحنطة وألف وخمسمائة كر من الشعير وذلك عدا ثلثمائة الف وثلاثين الف درهم من الورق ، وقد أيد قدامة ذلك في قائمته حول جباية السواد في حوالي ذلك الزمن .

---

(١) حول الغرق المذكور راجع ما تقدم في الصفحة ٢٢٧ .

(٢) عن تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٢٤٨) طبعة ادارة الطباعة المنيرية .

٦ ـ كورة شاذ هرمز ـ طسوجا « جازر » و « المدينة العتيقة »

وكان آخر ما في (كورة شاذ هرمز) من طساسيج الطسوجان (جازر) و (المدينة العتيقة) ، وهذان يشتملان على المنطقة الواقعة على الضفة اليمنى للنهروان ما بين بغداد والمدائن ، وكان هذان الطسوجان يستمدان مياه الارواء من النهروان أيضاً فتتفرع من ضفته الغربية جداول فرعية لارواء أراضيها ثم تنتهي هذه الفروع الى دجلة في ناحية المدائن .

ويمكن تتبع آثار الانهر التي كانت تتفرع من الضفة اليمنى للنهروان في هذا القسم حيث يشاهد في تلك الضفة على مسافة حوالي أربعة كيلومترات من جنوبي (مدينة النهروان) فرعان كبيران يعرفان باسم (خشوم الخور) ، أولهما من الشمال يسمى (الخور الصغير) والثاني وهو الاسفل يسمى (الخور الكبير) ، ويمتد هذان الفرعان في الأراضي الواقعة بين مجرى نهر ديالى الحالي والضفة اليمنى للنهروان وبعد ان تتشعب منهما عدة فروع ينتهيان الى نهر دجلة في جنوبي بغداد . وتشاهد في جنوبي صدري (خشوم الخور) بقليل عند الكيلومتر (١٢٥) من النهروان آثار بناء على جانبي مجرى النهروان يستدل منها أن قد كان في هذا الموضع ناظم قاطعي أو سد غاطس تحجز أمامه المياه لتأمين ادخالها بمناسيب عالية الى نهري (خشوم الخور) اللذين تقدم ذكرهما . والارجح أن الموضع المذكور هو نفس الموضع الذي سماه ابن سرابيون (الشاذروان الاعلى) وقد عين موقعه في جنوبي (مدينة النهروان) بقليل[1] . وفي جنوبي موقع هذا الناظم أو السد بحوالي أربعة عشر كيلومتراً يتفرع نهران آخران من الضفة اليمنى للنهروان أيضاً ، الأول من الشمال يسمى (نهر عليان) ويتفرع عند الكيلومتر (١٣٨) من النهروان ، والثاني من الجنوب وهو أكبر سعة يسمى (نهر الكف) ويتفرع عند الكيلومتر (١٤٠) من النهروان ، وللنهر الأخير ضفاف

(١) راجع ما تقدم في الصفحة ١٥٣

مرتفعة وهو يمتد مسافة بعيدة في المنطقة الواقعة بين النهروان ودجلة وتتفرع منه عدة فروع لارواء هذه الشقة الواسعة (راجع اللوحة رقم ٤) . وآخر نهر يشاهد في هذا القسم هو النهر المسمى (ابو تمارة) ، ويتفرع هذا النهر من الضفة اليمنى للنهروان في نقطة تقع على بعد حوالي أربعة كيلومترات من جنوبي صدر (نهر عليان) ، فيمتد هو وفروعه مسافة طويلة في الاراضي الواقعة ما بين نهر دجلة ومجرى النهروان . ولعل تسمية (أبي تمارة) هذه تحريف لكلمة (بتمار) ، وهي اسم قرية من قرى بغداد جاء ذكرها في المراصد .

والارجح أن الاطلال المعروفة اليوم باسم (تلول بسماية) والواقعة وسط (طسوج جازر) تمثل بقايا (قصبة جازر) ، وهي التي وصفها ياقوت قائلاً انها قرية من نواحي النهروان من أعمال بغداد قرب المدائن وهي قصبة طسوج الجازر . وتقع أطلال (بسماية) هذه على مسافة زهاء عشرين كيلومتراً من جنوب شرقي مدينة بغداد فتنتشر في شبه دائرة طول قطرها حوالي كيلومترين ونصف الكيلومتر ، ومن أبرز أبنيتها التي تشاهد آثارها ماثلة للعيان حصن ضخم تشكل حدود جدرانه الخارجية أضلاع متوازية غير منتظمة ، فيبلغ طول ضلعه الشرقية ٢٥٥ متراً وطول ضلعه الغربية ١٨٥ متراً وطول ضلعه الشمالية ١٣٥ متراً . اما الضلع الجنوبية التي تواجه (طيسفون) فهي اقصر الاضلاع إذ تبلغ ٨٥ متراً . اما جدران الحصن فترتفع عن سطح الأرض المجاورة زهاء ٣٥ قدماً وهي مبنية بلبن مربع من الحجم الكبير يبلغ طول أضلاعه حوالي ٤٠ سنتمتراً . ويستدل من حجم اللبن وحجم الآجر المفخور الذي وجد داخل الحصن وهو بنفس الحجم ان البناء فارسي الأصل . وقد أجمع العلماء الأثريون على أن الآجر الذي بهذا الحجم يرجع الى العهد البابلي الأخير والعهدين ، الفرثي والساساني ، حيث كان يستعمل في هذه العصور هذا النوع من الآجر واللبن

في بناء الحصون الشامخة والمنشئات الضخمة . وكان ذلك من جملة ما استدللنا به على ان (حصن القادسية) المشمّن الذي في سامراء يرجع الى العهد الفارسي أيضاً [١] . ويشاهد عدا الفخار الكثيف على سطح اطلال المدينة كثير من الزجاج القديم مما يدل على ان الزجاج كان يستعمل بوفرة هناك .

ويشاهد بين اطلال « بسماية » آثار نهر قديم يخترقها ثم يتفرع منه فرع خاص ينتهي الى الحصن الذي في المدينة فيموّن الخندق الذي يحيط به من الخارج ، واذا تتبعنا آثار مصدر هـذا النهر نجد انه يتفرع من « خشوم الحور » شمالاً ثم ينزل جنوباً حتى ينتهي الى موضع اطلال « بسماية » .

ونستخلص من تحقيقاتنا ان طريق خراسان العام بين المدائن وخراسان كان قبل أن تنشأ مدينة بغداد ، أي قبل الفتوحات الاسلامية ، يمر من « قرية جازر » (موضع اطلال بسماية الحالية) ، ويظهر من التحصينات التي فيها انها كانت موقعـاً ستراتيجياً مهماً في حوالي منتصف الطريق بين « المدائن » و « مدينة النهروان » عدا انها كانت مركزاً لطسوج « جازر » .

وهناك ما يدل على ان قرية « جازر » كانت تعرف بهذا الاسم في العهد الفارسي وفي صدر الاسلام ، فقد جاء في كتاب « الكامل في التاريخ » لابن الأثير ان كسرى أنوشروان « أمر بزندك فقتل وصلب وقتل من الزنادقة ما بين جازر الى النهروان الى المدائن في ضحوة واحدة مائة الف زنديق [٢] ، كما جاء في الطبري ذكر « جازر » في حوادث السنة السادسة عشرة الهجريه ، وهذا نص ما ذكره الطبري قال : « قالوا كان فارس من فرسان العجم في المدائن يومئذ مما يلي جازر فقيل له دخلت العرب وهرب أهل فارس فلم يلتفت الى قولهم الخ ... » [٣]

---

(١) راجع البحث المتقدم في ص ٢٥٩ـ٢٦٠

(٢) الجزء الاول ، الصفحة ٣١٤

(٣) الطبري (٢ : ٢٤٤٢)

ويشاهد في جوار اطلال « بسماية » تلان بارزان ، هما « تل رشادي » الواقع على مسافة حوالي ستة كيلومترات من غربيها و« تل اشجالي » الواقع على بعد زهاء ثمانية كيلومترات في شمال غربيها، والارجح ان هذين التلين من بقايا القرى المهمة في « طسوج جازر » ، وتشاهد أيضاً على مسافة أحد عشر كيلومتراً من شمال غربي الاطلال المذكورة « تلول خفاجي » التي ثبت انها موضع المدينة البابلية القديمة « دور شمسوايلونا »[١]. ومما يلفت النظر أن هناك تلاً مرتفعاً على الضفة اليمنى للنهروان يقع على مسافة ١١ كيلومتراً من شمال شرقي اطلال « بسماية » ، مقابل الكيلومتر (١٣٦) من النهروان ، يسمى « تل جوزي » او « تل جوزية »، ولعل هذه التسمية تحريف لكلمة « جازر » .

هذا فيما يختص بطسوج جازر ، أما فيما يتعلق بطسوج « المدينة العتيقة » فقد ثبت انه يقع في القسم الشرقي من « المدائن » القائم على الجانب الايسر من نهر دجلة ، وهو القسم الذي يقع فيه « القصر الابيض » و « ايوان كسرى » المشهورين . وتسمى اليوم هذه الناحية الواقعة على مسافة ٣٠ كيلومتراً من بغداد جنوباً « ناحية سلمان پاك » باسم الصحابي الشهير « سلمان الفارسي » المدفون فيها ومدفنه وسط جامع فخم[٢] . أما « المدائن » فهي عبارة عما بقي من مدينتي « سلوقية » اليونانية و « طيسفون » الفارسية . شيد سلوقس نيكتاريوس مدينة « سلوقية » على ضفة نهر دجلة اليمنى في القرن الثالث قبل الميلاد[٣] ، اما مدينة « طيسفون » فقد شيدها الفرتيون على الجانب الايسر من

---

(١) راجع ماتقدم في الصفحة ١٥٨

(٢) كان على مقربة من الايوان قبران يرقد فيهما الصحابيان العربيان عبدالله الانصاري وحذيفة بن اليمان فاشرفا على الغرق لان مياه دجلة كانت ـ ولا تزال ـ تنال من الشاطيء فنقلت الحكومة بقايا رفاتيهما الى جامع « سلمان الفارسي » في عام ١٩٣١ (راجع « العراق قديماً وحديثاً » للاستاذ عبد الرزاق الحسني ، الصفحة ٨٥) .

(٣) راجع الجزء الثاني من كتاب المؤلف « وادي الفرات » ص ١٢ و ٨١ و ٩٦ و ٨٦ و ٨٤ و ٩٣ و ٩٤ و ١٨٤ و ٢١٦ .

دجلة مقابل « سلوقية »، وكانت في العهد الساساني من اشهر مدائن العراق حتى بلغت ذروة مجدها في زمن كسرى انوشروان في القرن السادس بعد الميلاد .

وقد ذكر المؤرخون من العرب ان « المدائن » كانت تشتمل على سبع مدائن، بيد ان ياقوت الحموي ذكر خمساً منها وهي : « المدينة العتيقة » (طيسفون) التي كان « القصر الابيض » من أقسامها ، و « مدينة اسبانبر » التي كان « ايوان كسرى » من اقسامها ، وهي اعظمها تقع في جنوبي « المدينة العتيقة » مسافة ميل ، وبالقرب منها « مدينة الرومية » . وفي الضفة المقابلة أعني في الضفة اليمنى «مدينة بهر سير» وهي محرفة من « بهي اردشير » ، وفي جنوبيها «مدينة ساباط كسرى » وهي محرفة من « بلاسي اباد » . وقد ذكر الاصطخري « ان جانبي المدائن المكتنفين لدجلة كانت على عهد الفرس موصولاً بينهما بجسر على دجلة مبني بالآجر » .

وورد في « مقدمة تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي (الطبعة الفرنسية ص ٨٨) بصدد « المدائن » ما يلي : ـ « وقيل انما سميت المداين لكثرة ما بنى بها الملوك والاكاسرة واثروا وتسمى المدينة الشرقية العتيقة وفيها القصر الابيض القديم الذي لا يدرى من بناه وتتصل به المدينة التي كانت الملوك تنزلها وفيها الايوان ويعرف باسبانبر ، واما المدينة الغربية فتسمى بهرسير ، وكان الاسكندر أجل ملوك الأرض نزلها » .

ويظهر ان بعض اقسام « المدائن » كان مأهولاً في القرنين الثاني والثالث للهجرة ولم يخفت ذكرها إلا في القرن الرابع الهجري . فذكر المستوصفي الذي زار « المدائن » في القرن الثاني الهجري ان المدائن الواقعة في الضفة الشرقية كانت متهدمة لا يسكنها أحد ، بينما المدائن في الجانب الغربي كانت مأهولة سيما مدينة بهرسير ، كما ذكر ابن رسته في كتابه « الاعلاق النفيسة » الذي وضعه

في أواخر القرن الثالث الهجري ان في المدائن « مسجدين جامعين وأسواق وعلى احد جانبيها مما يلي المشرق قصر بناه الاكاسرة وكان مقامهم فيها وفيها الايوان الموصوف وفي الجانب الغربي بيت نار يقال ان النفقة عليه تضعف على خراج فارس . ويشير ابن العبري في كتابه « تاريخ مختصر الدول » ص(٢٨٨) الى معسكر كان المعتصم قد انشأه في « المدائن » .

ولقد استعمل الخلفاء انقاض القسم المنهدم من « المدائن » في تشييد المباني والقصور في بغداد ، فذكر ابن العبري في كتابه « تاريخ مختصر الدول »(ص٢١١) ان «المنصور لما عزم على بناء بغداد أمر بنقض المدائن وايوان كسرى . فنقضه ونقله الى بغداد . فنقضت ناحية من القصر الابيض وحمل نقضه . فنظر وكان مقدار ما يلزمهم له اكثر من ثمن الجديد فاعرض عن الهدم » . وقد ذكر ياقوت الحموي في مادة « التاج » من معجمه ان « المكتفي أتم عمارة قصر التاج الذي كان المعتضد وضع اساسه وجلب لبناء التاج انقاض القصر الكامل والقصر الابيض الكسروي الذي لم يبق منه الآن بالمدائن سوى الايوان بني في هذه الانقاض مسناة التاج » .

وقام الدكتور رويتر الالماني في سنة ١٩١٨ بحفريات دقيقة في ضواحي « طاق كسرى » وبفضل ذلك تمكن من وضع رسم شائق يمثل القصر الساساني القديم الذي كان الطاق من اجزائه ، ويعتقد ان القصر المذكور شيد ليكون مقراً لملوك الفرس يقيمون فيه عندما يخرجون للصيد والقنص .

وكان طريق خراسان الذي يبدأ من « المدائن » يخترق الطسوجين «جازر» و « المدينة العتيقة » ، وذلك في القسم الذي يسير به بين « المدائن » و « جسر النهروان » ماراً ، بمدينة «جازر» (اطلال بسماية) التي تقع على بعد حوالي نصف المسافة بين الموضعين المذكورين ، إذ أن بغداد ـ كمدينة ـ لم تكن موجودة في أيام الاكاسرة ، وانما كانت قرية من قرى « طسوج بادوريا » الواقع في

الجانب الغربي من دجلة . وقد ذكر اليعقوبي انه لم يكن ببغداد في ذلك الوقت إلا دير على موضع مصب الصراة الى دجلة الذي يقال له قرن الصراة وهو الدير الذي يسمى الدير العتيق وكان قائماً بحاله الى زمنه (حوالي سنة ٢٨٠ هـ) . أما بعد ان اقيمت مدينة بغداد في العهد العربي فصار الطريق العام بين بغداد و « المدائن » ، وهو الطريق المؤدي الى واسط ، يخترق الطسوجين المذكورين أيضاً . ويلاحظ من وصف المؤرخين من العرب لهذا الطريق ان منطقة الزعفرانية الحالية كانت تعرف بهذه التسمية أيضاً في ذلك الوقت ، وكان الطريق يسير وسط حدائق ومزارع على طول المسافة بين « كلواذى » و « المدينة العتيقة » . ولا شك في أن هذه المزارع والبساتين كانت كلها تسقى من فروع النهروان التي تقدم ذكرها . واليك ما كتبه ابن رسته في وصف هذا الطريق قال: «من بغداد الى كلواذى ثلاثة فراسخ الطريق ينحدر مع دجلة فتسير حتى تنتهي الى كلواذى مدينة بها مسجد جامع ومنبر وأسواق . ومن كلواذى الى الزعفرانية الطريق منحدر مع دجلة في صحراء ومزارع ونخيل ونواويس على شط دجلة حتى تنتهي الى معسكر وصحراء ملساء وعلى شط دجلة قرية يقال لها الزعفرانية ومنه الى المدائن الطريق في نخيل ومزارع وتعبر على جسري نهرين يسحبان نهر بين ونهروان حتى تنتهي الى المدائن وفيها مسجدان جامعان وأسواق وعلى أحد جانبيها مما يلي المشرق قصر بناه الاكاسرة وكان مقامهم فيها وفيها الايوان الموصوف » .

وقد ذكر ابن خرداذبه أن الطسوجين « جازر » و « المدينة العتيقة » يقسمان الى سبعة رساتيق وبيادرها مائة وستة عشر بيدراً تشتمل على الف كر من الحنطة والف وخمسمائة كر من الشعير هذا عدا مائة الف وأربعين الف درهم من الورق . وقد أيد ذلك قدامة ابن جعفر في قائمته المثبتة في كتاب «الخراج» حول جباية السواد في سنة ٢٠٤ هـ . إلا انه اعتبر مبلغ الورق ٢٤٠ الف درهم، أي بزيادة مائة الف درهم عما ذكره ابن خرداذبه .

٧ ـ مجموع جباية « كورة شاذ هرمز »

وبناء على ماتقدم يكون مجموع جباية الكورة الاولى في حوالي عهد المعتصم زهاء عشرة آلاف كر من الحنطة وأحد عشر الف كر من الشعير ومليون وتسعين الف درهم ، وتفاصيلها كما يلي :

اسم الطسوج	مقدار الحنطة بالكر	مقدار الشعير بالكر	الدراهم
« طسوج بزر جسابور »	٢٥٠٠	٢٢٠٠	٣٠٠ر٠٠٠
« طسوجا الراذانين »	٤٨٠٠	٤٨٠٠	١٢٠ر٠٠٠
« طسوج نهر بوق »	٢٠٠	١٠٠٠	١٠٠ر٠٠٠
« طسوج كلواذى ونهر بين »	١٦٠٠	١٥٠٠	٣٣ ر٠٠٠
« طسوجا جازر والمدينة العتيقة »	١٠٠٠	١٥٠٠	٢٤٠ر٠٠٠
المجموع	١٠ر١٠٠	١١ر٠٠٠	١ر٠٩٠ر٠٠٠

٨ ـ الطريق العام بين بغداد و« سر من رأى » يخترق « كورة شاذ هرمز »

وكان الطريق العام بين بغداد وسرّ من رأى يخترق « كورة شاذ هرمز » فيسير على محاذياً الضفة الشرقية لنهر دجلة ، وهو نفس الطريق الذي سلكه المعتصم عندما خرج من عاصمته ـ بغداد ـ وهو يتحرّى عن موضع ملائم لعاصمته الجديدة حتى انتهى الى سامراء ، فكان يسير أولاً بـ « البردان » التي تبعد أربعة فراسخ عن بغداد ، وهذه هي نفس المدينة التي قصدها المعتصم واعتزم انشاء عاصمته الجديدة فيها ثم عدل عن عزمه هذا لضيق المكان وقربه من بغداد ، ثم يتجه الطريق بعد ذلك نحو « عكبرا » التي تبعد مسافة خمسة فراسخ عن « البردان » ، ثم يسير الى « باجمشا » التي تبعد ثلاثة فراسخ عن « عكبرا » ، وبعد ذلك يتجه نحو « القادسية » التي تبعد سبعة فراسخ عن باجمشا ،

حتى ينتهي الى « سر من رأى » التي تبعد ثلاثة فراسخ عن « القادسية » . وبذلك يكون مجموع المسافة بين بغداد وسر من رأى اثنين وعشرين فرسخاً ، أي حوالي مائة وعشرة كيلومترات ، وهي حوالي نفس المسافة الحالية بين بغداد وسامراء عن طريق الجهة اليمنى لنهر دجلة، وهي مائة وعشرين كيلومتراً تقريباً[١].

ويستدل مما كتبه المؤرخون على أن الطريق المذكور كان كثيفاً بسكانه إذ كان يمر بين مزارع وبساتين على طول المسافة بين بغداد و « سر من رأى » ، واليك ما كتبه اليعقوبي في هذا الصدد قال : « ولم تخرب بغداد ولا نقضت أسواقها لأنهم لم يجدوا منها عوضاً ولأنه اتصلت العمارة والمنازل بين بغداد وسر من رأى من البر والبحر أعني في دجلة وفي جانبي دجلة » .

أما سبب سلوك الطريق الجهة اليسرى لنهر دجلة فيرجع الى أن هذه الجهة كانت اعمر من الجهة اليمنى حيث كانت فروع النهروان تتغلغل فيها بين النهروان ومجرى دجلة فتؤمن ارواءها سيحاً على طول المسافة بين بغداد والقادسية مما جعلها من أجل واخصب بقاع كورة شاذهرمز[٢] .

---

(١) راجع البحث المتقدم الخاص بطريق البريد العام بين بغداد وسامراء في ص ١٩٠ ـ ١٩١

(٢) راجع البحث المتقدم الخاص بطسوج بزرجسابور في ص ١٨٢ و ٣٥٥ .